بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ٩٦ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ٢٩/ ١٠/ ٢٠٢٤م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

المحطة الأخيرة في الآية الشريفة: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.

تفسير البكرة والأصيل:

كلمة البكرة: يراد الغداة أي الصباح فيكون أول اليوم أو أول النهار، والذي يكون بعد طلوع الفجر، فيقال بكّر في خروجه أي خرج بعد صلاة الفجر. هذه الكلمة واضحة ولا يوجد فيها خلاف.

كلمة أصيل: إذا تتبعنا كلمات أئمة اللغة نجد أنهم اختلفوا فيها على أقوال:

القول الأول: الأصيل هو العشي، أي أن وقته يكون بعد المغرب، وهذا القول يظهر من الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين، واختاره ابن منظور في لسان العرب.

القول الثاني: الأصيل بعد العشي، إلى آخر الليل.

القول الثالث: الأصيل هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، لعل هذا القول هو أشهر الأقوال في الاستعمالات، فتقول اقتربت الشمس من الأصيل أي على عتبة أن تغيب. فعن أبي عبيدة المثنى أن الأصيل ما بين العصر إلى الليل.

علماء التفسير الذين لم يدققوا في معاني الكلمات حملوا هذه الآيات أن ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾ ناظرة إلى صلاة الصبح، واذكر اسم ربك أصيلاً ناظرة إلى صلاة الظهر والعصر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ ناظرة إلى صلاة المغرب والعشاء، فتكون الآيتان قد جمعت بين الصلوات وبين الفرائض الخمس. وقوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلا﴾ ناظرة إلى نافلة الليل، فجمعت بين الفرائض والمستحبات.

أغلبهم قالوا ذلك من دون أن يطبقوا ذلك على كلمة الأصيل، كيف كلمة الأصيل تشمل وقت صلاة الظهر والعصر؟ لأنه بناء على ذلك سوف يكون الأصيل من حين بدء الشمس عن الانحراف عن وسط

السماء؛ حينئذ يبدأ الزوال، الزوال عندما تبدأ الشمس بالانحراف عن وسط السماء، منذ هذه البداية إلى ما قبل غروب الشمس، هذا كله بناء على ذلك سوف يسمى أصيل.

لكن هل هذا ينسجم مع كلمات علماء اللغة؟

إذا استعرضنا الآيات المشابهة، كلمة الأصيل تكررت في القرآن الكريم في مجموعة من الآيات، كما في سورة مريم ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1] بدل كلمة الأصيل جاءت كلمة العشي، والذي قابل البكرة هو العشي، أي سبحوه صباحاً ومساءً. وكذا في ذات السورة ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[2] ناظرة إلى الجنة.

وفي سورة الفرقان ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾[3] أن هذا القرآن الذي جاء به هذا النبي صلى الله عليه وآله أساطير وليس من عند الله سبحانه وتعالى، وهناك من يلقيها عليه بكرة وأصيلاً.

وفي سورة الأحزاب ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[4]، وفي سورة الفتح ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾[5]، وفي سورة الأعراف ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[6] الغدو يعني الصباح والبكرة من اليوم، وفي سورة الرعد ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[7] تكلم عن أمر تكويني أن الله سبحانه وتعالى يسجد له كل من في السماوات والأرض بعضهم يسجد طوعاً وبعضهم يسجد كرهاً تكويناً، خضوعه مجبول عليه، وليس فقط بل وظلالهم أيضاً. وفي سورة النور ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[8].

قد يقال مقتضى المقابلة في مثل هذه الآيات بين الصباح المساء، وبين البكرة وآخر النهار، وبين الغزو والآصال، أن يقصد من آخر اليوم كما يقصد من الغدو أول اليوم وأول النهار. خصوصاً في مثل قوله

---

[1] مريم: ١١
[2] مريم: ٦٢
[3] الفرقان: ٥
[4] الأحزاب: ٤٢
[5] الفتح: ٩
[6] الأعراف: ٢٠٥
[7] الرعد: ١٥
[8] النور: ٣٦

تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ﴾[9] أي أن الإنسان في حالة يقظته لا بد أن يكون مداوماً على ذكر الله صباحاً -أول النهار- ومساء -آخر النهار- ثم قال: ﴿وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ﴾ أي في وقت استراحة الإنسان، والذي هو وقت الليل.

فمقتضى المقابلة أن يحمل الأصيل على آخر النهار وعلى آخر اليوم.

أما في الآية التي نبحث عنها، بعدما فرغنا في البحوث السابقة على أن الذكر في هذه الآية يقصد منه ذكر الصلاة، بمقتضى القرينة الداخلية والقرينة الخارجية، بناء على ذلك لابد أن يكون الأصيل ناظراً إلى أوقات صلاة النهار، وهذا ينسجم مع بعض الروايات.

في كتاب كافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن علي ابن أسباط عن غالب بن عبد الله [لم يوثق، وبقية أفراد السند بعضهم من الأجلاء وبعضهم من الموثقين] عن أبي عبد الله عليه السلام: (فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ﴾ قَالَ هُوَ الدُّعَاءُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَهِيَ سَاعَةُ إِجَابَةٍ.[10]) فالأصيل قبل الغروب. وورد في بعض الروايات بل في بعض الأدعية أن هذه الساعة قبل الغروب هي ساعة الدعاء، وهناك أدعية مأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فبناء على هذه الرواية، فينسجم مع الاستعمال العرفي للأصيل. اتجهت الشمس نحو الأصيل أي اقتربت من الغروب. فهذا التعبير العرفي ينسجم مع الرواية، ومقتضى المقابلة في الآيات الأخرى إذا حملنا الغدو على أول النهار فنحمل الأصيل على آخر النهار أي قبل الغروب.

النتيجة النهائية: أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نكون في حالة ذكر لله سبحانه وتعالى، في أول يومنا وفي آخر يومنا، وهذا كناية عن أن الإنسان لابد أن يكون مداوماً على الذكر، سواء خصصنا هذا المطلب بذكر الصلاة أو قلنا المراد منه أعم وإن كان له نظر إلى ذكر الصلاة.

فلابد للإنسان المؤمن أن يداوم على ذكر الله، وفسرنا المداومة على ذكر الله لا بعدم عروض الغفلة؛ لأن الذاكر قد يعرض عليه الغفلة. وإنما المهم أن لا يعدّه الله تبارك وتعالى من ضمن الغافلين، إذا غفل

---

[9] الأعراف: ٢٠٥

[10] الكافي (ط - الإسلامية)، ج٢، ص: ٥٢٢

تذكر فحينئذ لا يكون من ضمن الغافلين، قد يعرض عليه الغفلة لكن سرعان ما يعود إلى رشده فيتذكر. وبهذا يتم الكلام في الآية الخامسة والعشرين.